الفصل الثاني

ثقافة عمر وعلمه وتربيته

نشأ عمر نشأة طيبة في صغره ، وتربى تربية عالية في طفولته ، وتعلم العلوم النافعة في شبابه ، فكانت حياته العلمية مثلاً فذاً آخر بجانب حياته الشخصية التي أعجبنا بفصولها السابقة ، كما أعجب بها الغابرون ، ورددتها الألسن ، وتناقلتها الأجيال .

ازدانت شخصيته بالعلم ، وسمت بالمعرفة ، وتميزت بالفكر والعقل ، وتتوجت بالتقوى ومخافة الله وتعظيم ربه في أعماق صدره ، وتطلّع الى المزيد من العلوم والمعارف ، والتربية النافعة في مهاد النبوة ، ومركز النور والإشعاع الإلهي بالقرآن والسنة النبوية ، فعزف عن أمجاد أبيه في ولاية مصر ، وانصرف طالباً نابغاً ، يروي ظمأه وحبه العلم في زوايا العلماء ، وقاعات المساجد الرحبة في مهبط الوحي ، ومستقر الصحابة ، ومقر الخلافة الراشدية في طيبة «المدينة» التي تطيب بها نفوس ساكنيها ، فهو في هذه البيئة العلمية المباركة نشأ ، وعلى علمائها تثقف ، وقد روى الحديث وتلقى الفقه عن جماعة من الصحابة وعن أعلام التابعين .

امتاز بأنه قرن بين العلم والعمل ، وبين المعرفة والتطبيق ، وحب التعلم ونشر التعليم ، والاطلاع الواسع على سيرة السلف الصالح ، بغية التأسي بهم والامتثال ، والالتزام لمنهجهم واتباع طريقهم .

لم يضيع ساعة واحدة من نشاطه في شبابه في غير التعلم واكتساب الخبرة ، وزيادة الفهم والبصيرة ، حتى صار بحق زعيم مدرسة علمية متكاملة ، وأستاذ معرفة ذات أصول صحيحة ، تعتمد على التلقي الدائم عن الشيوخ الأكفاء المرموقين ، وتصب ثمارها في عقول نخبة ممتازة من التلاميذ ، وتغص فيها الحياة بالمناقشات والمناظرات العلمية ، وتعتمد على المحاكمة العقلية الناضجة ، والوعي والفكر والأناة ، والحفظ والاستذكار ، وتقييد العلم بالكتابة .

فأنتج كل ذلك من تلاقي الرغبة الذاتية ، والعقل والفكر ، والتوجيه التربوي ، ومداومة التعلم ، شخصية علمية متزنة اتسم بها عمر ، فتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه ، على لسانه ، وفي حياته ، حتى كان العلماء معه تلامذة !!

نشأته :

عني أبوه بتربيته في صغره فجمع القرآن الكريم وهو صغير ، وجعله أبوه عند صالح بن كيسان ليؤدبه ويعلمه ، فلما حج أبوه اجتاز به في المدينة ، فسأله عنه ، فقال :

ماخبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام [1] .

ـ تأخر عمر بن عبد العزيز عن الصلاة مع الجماعة ، فقال صالح بن كيسان : ماشغلك ؟ فقال : كانت مُرجِّلتي تسكِّن شعري . فقال له : قدّمت ذلك على الصلاة ؟

ثم كتب إلى أبيه ، وهو والٍ على مصر يعلمه بذلك ، فبعث أبوه رسولاً ، فلم يكلمه حتى حلق رأسه [2] .

ـ وكان عمر يتردد على عبيد الله بن عبد الله بن مسعود أحد فقهاء المدينة ، يسمع منه العلم ، فلما توفي أبوه طلبه عبد الملك الى دمشق ، وزوجه ابنته فاطمة [3]

---

(١) البداية والنهاية : ٩/١٩٢ ومابعدها ، شذرات الذهب : ١/١١٩

(٢) البداية والنهاية : ٩/١٩٣

(٣) تاريخ الخلفاء : ص ٢٢٩ ، فوات الوفيات : ٢/٢٠٧

حرصه على العلم :

- ولم يكن تعليمه على كُرْه منه ، أو رغبة منه عن العلم ، وإنما كان على العكس شديد الحرص على العلم والرغبة في الأدب ، ومن أقواله : «تعلموا العلم ، فإنه زين للغني ، وعون للفقير ، لا أقول : إنه يطلب به ، ولكنه يدعو الى القناعة» [1] .

وحينما كان أبوه والي مصر ، وكان عمر حديث السن يشك في بلوغه ، أراد أبوه إخراجه معه الى مصر من الشام ، فقال :

ياأبت ، أو غير ذلك ، لعله يكون أنفع لي ولك ؟ قال :

وماهو ؟ قال : ترحّلني الى المدينة ، فأقعد إلى فقهائها وأتادب بآدابهم .

تعلمه في المدينة :

فأرسله أبوه الى المدينة ، وأرسل معه الخدام ، فقعد مع مشايخ قريش ، وتجنب شبابهم ، ومازال ذلك دأبه ، حتى اشتهر ذكره [2] . وهذا يدل على كبر عقل عمر ، فهو لم ينصرف الى اللهو مع الشباب أمثاله ، ولم ير فيهم ما يفيده ؛ لأنهم أحداث مثله ، وإنما وجد في عِلْية القوم ، وكبار الناس مايحقق مطمعه ، ويروي ظمأه في حب العلم والمعرفة .

- ساعده في تضلعه بالعلوم رغبته الذاتية ، وآماله الكبرى ، ونفسه التواقة المتطلعة الى تحقيق الرغائب العديدة ، قال عمر عن نفسه [3] :

إن لي نفساً تواقة ، لقد رأيتني ؛ وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسي إلى العلم ، إلى العربية والشعر ؛ فأصبت منه حاجتي ، وما كنت أريد . ثم

---

(١) سيرة ابن عبد الحكم : ص ١٧١

(٢) البداية والنهاية : ٩/ ١٩٣

(٣) حلية الأولياء : ٥/ ٣٣١ - ٣٣٢

تاقت الى السلطان فاستعملت على المدينة ، ثم تاقت نفسي وأنا في السلطان الى اللبس والعيش الطيب ، فما علمت أن أحداً من أهل بيتي ولا غيرهم ، كانوا في مثل ماكنت فيه .

ثم تاقت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل ، فأنا أرجو أن أنال ما تاقت نفسي إليه من أمر آخرتي ، فلست بالذي أهلك آخرتي بدنياهم .

ـ طريقته في التعلم :

كانت طريقته هي الإنتباه الدقيق التام إلى المعلم، ووعي ما يقول، وتمثل ما يريده، ثم تقييد العلم بالكتابة، فكان يقول: قيدوا النعم بالشكر، وقيدوا العلم بالكتاب(١) .

وليس العلم في رأيه مجرد بضاعة يباهي بها أو للسمعة والشهرة والرياء ، وإنما هو وسيلة للتأدب والتخلق بمكارم الأخلاق والعمل ، ويسمي ذلك الفقه الأكبر ، فقال لرجل: علم ولدك الفقه الأكبر: القناعة وكف الأذى(٢). وكان عليه وقار العلماء وهيبة الفقهاء ، لايتكلم الا بقدر ، قال عن نفسه : إني لأدع كثيراً من الكلام مخافة المباهاة (٣) . وقال أيضاً : من لم يعلم أن كلامه من عمله كثرت ذنوبه (٤) . وكتب عبد الرحمن بن نعيم : «إن العمل والعلم قرينان ، فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان علمهم عليهم وبالاً» .

درجته العلمية وشيوخه :

وأما منزلته العلمية : فقد كان عمر تابعياً جليلاً ، أخذ العلم عن بعض الصحابة وكبار التابعين وأعلام الفقهاء ؛ وروى الحديث عن جماعة من الصحابة وهم أنس بن مالك (٩٠هـ) وعبد الله بن عمر (٧٤هـ) وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٨٠هـ) والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، ويوسف

---

(١) حلية الأولياء : ٥/ ٣٤٠ ، البداية والنهاية : ٩/ ٢٠٩

(٢) البداية والنهاية : ٩/ ٢٠٩

(٣) حلية الأولياء : ٥/ ٣٤٠

(٤) المرجع السابق : ص ٢٩٠

صحابي صغير ، وأرسل الحديث عن عبادة بن الصامت والمغيرة بن شعبة وتميم الداري وعائشة وأم هانىء . وروى أيضاً عن جماعة من كبار التابعين وهم سعيد بن المسيب (٩٤هـ) سيد التابعين ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وعبدالله بن ابراهيم بن قارظ ، وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود (٩٩هـ) وقد روى عمر عن ابن عتبة هذا أكثر مما روى عن جميع الناس . وروى أيضاً عن أبيه وعن سالم وأبي سلمة وعروة بن الزبير (٩٤هـ) وخارجة بن زيد ، وعامر بن سعد بن أبي وقاص وأبي بردة بن أبي موسى ، والربيع بن سبرة ، وعراك بن مالك ، وأبي حازم ، والزهري ، والقرظي ، وغيرهم وهم خلق كثير يطول ذكرهم [١].

إلا أنه لم يكن يضاهي ابن عتبة عند عمر غير القاسم بن محمد بن أبي بكر أحد فقهاء المدينة السبعة وأحد الثلاثة الذين سادوا أهل الأرض عبادة وزهداً ، وصاروا في زمانهم زينة الدنيا ، ورغبت الفتيات بالزواج منهم ، وهم القاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله ، وعلي بن الحسين زين العابدين .

لكن أحب عمر ابن عتبة وآثره، فتردد إلى مجلسه كثيراً، إذ كان بحراً من بحور العلم [٢]، ذا رأي وفقه وعفة ووقار ، لكنه كان ذا طبع خاص في التعليم ، فمرة يأذن لتلاميذه ، ومرة يردهم ، وكان عمر بن عبد العزيز أحد هؤلاء التلاميذ الذي يذهبون إليه ، فيرده ولا يأذن له ، فيرجع عمر ـ وهو أمير المدينة ـ راضياً غير ناقم ، قال أبو الزناد عن أبيه : ربما كنت أرى عمر بن عبد العزيز في إمارته ، يأتي عبيد الله بن عبدالله بن عتبة ، فربما حجبه ، وربما أذن له [٣]وكان عمر

---

(١) البداية والنهاية : ٩/١٩٢ ، سيرة ابن الجوزي : ص ٨ ، صفة الصفوة لابن الجوزي : ٢/ ٧١ ومابعدها ، تاريخ الخلفاء : ص ٢٢٩ ، فوات الوفيات : ٢/٢٠٧ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٢/ ٢٧٤ .

(٢) قال الزهري : أدركت أربعة بحور من قريش : سعيد بن المسيب ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيدالله بن عبدالله ، وعروة بن الزبير (صفة الصفوة : ٢/ ٥٧) لكن يلاحظ أن عبيدالله من قبيلة هذيل ، وهذيل من العدنانية ، فأبوه ابن مسعود هذلي النسب ، لكنه أيضاً زُهري الحلف ، وبنو زهرة بطن من بطون قريش .

(٣) صفة الصفوة : ٢/ ٥٧

يقول : «مارويت عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة أكثر مما رويت عن جميع الناس» وقال ايضا : «لأن يكون لي مجلس من عبيدالله أحب إلي من الدنيا ومافيها» .

هؤلاء شيوخ عمر الذين تتلمذ عليهم ، وهم إما بعض الصحابة ، أو أعلام التابعين ، فصار مرموقاً مشهوراً بهذه التلمذة ، وأصبح من رواة الحديث ، فأسند الحديث بسند متصل عن جماعة من الصحابة والتابعين ، وأرسل الحديث فلم يذكر الصحابي المروي عنه ، ثم ترك رواية الحديث وقل حديثه ، لكنه أصبح فقيهاً في الحديث ، يرى ويستنبط ، بالغاً مرتبة الاجتهاد ، وأقبل عليه كثير من الفقهاء يأخذون عنه ، سواء من أهل الحجاز أو من أهل الشام ، قال الليث بن سعد : حدثني رجل كان قد صحب ابن عمر وابن عباس ، وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة ، فقال :

ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة [1].

وتردد هذا القول المشهور على ألسنة علماء آخرين ، فقال ميمون بن مِهْران أحد أصحابه (المتوفى سنة ١١٧هـ) :

كان العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة ، أو ما كانت العلماء عند عمر إلا تلامذة [2] .

وقال أيضاً : أتينا عمر ، فظننا أنه يحتاج إلينا ، فإذا نحن تلاميذه . وقال أيضاً : كان عمر بن عبد العزيز يعلم العلماء . وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه ، فما برحنا حتى تعلمنا منه [3].

وقال أحمد بن حنبل : لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن

---

(١) البداية والنهاية : ٩/ ١٩٤

(٢) فوات الوفيات : ٢/ ٢٠٧ ، تاريخ الخلفاء : ص ٢٣٠ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٢/ ٢٧٤

(٣) سيرة ابن الجوزي : ص ٢٧ ، حلية الأولياء : ٥/ ٣٤٠

عبد العزيز [1]

تلامذته : وأما تلاميذه فهم كثيرون ، منهم جماعة من التابعين وغيرهم [2]: روى عنه : الزهري ، ومحمد بن المنكدر ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ومسلمة بن عبد الملك ، ورجاء بن حَيْوة ، وأيوب ، وحميد ، وخلائق كثيرون .

وقد قال عنه مسلمة بن عبد الملك حينما دخل عليه وهو مسجى عليه ، فقال : رحمك الله ، لقد أحييت قلوباً ميتة ، وجعلت لنا في الصالحين ذكراً [3] .

ووصفه رجاء بن حيوة الذي رشحه للخلافة قبل موت سليمان مخاطباً عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : ما رأيت أحداً أكمل عقلاً من أبيك [4]

معاصروه : وأما معاصرو عمر الذين ماتوا في أيامه ، فهم أعلام وهم [5]: أبو أمامة سعد بن سهل بن حُنَيف ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وسالم بن أبي الجعد ، وبُسْر بن سعيد ، وأبو عثمان النَّهْديُّ ، وأبو الضحى ، وشَهْر بن حَوْشَب الشامي ، وحَنَش بن عبدالله الصنعاني ، ومسلم بن يسار البصري ، وعيسى بن طلحة بن عبيدالله القرشي التَّيْمي أحد أشراف قريش وعقلائها وعلمائها .

وعمر بين الشيوخ والتلاميذ والأقران علم شامخ ، يرى أنَّ الفكر ينقدح بمجالسه العلماء والمذاكرة معهم ومقابلة الآراء بالآراء، وهذا دليل الإخلاص في العلم ، وطلب الحق ، والحرص على الوصول إلى صوابِ الرأي ، قال ميمون بن مهران : سألني عمر بن عبد العزيز عن فريضة ، فأجبته فيها ، فضرب على فخذي ، ثم قال : ويحك يا ميمون بن مهران ، إني وجدت لُقْيا الرجال تلقيحاً لألبابهم [1] .

---

(١) البداية والنهاية : ٩/١٩٢

(٢) تاريخ الخلفاء : ص ٢٢٩ ، خلاصة تذهيب الكمال : ٢/ ٢٧٤

(٣) حلية الأولياء : ٥/ ٣٤٠

(٤) حلية الأولياء : ٥/ ٣٣٢

(٥) تاريخ الخلفاء : ص ٢٤٦

(١) سيرة ابن عبد الحكم : ص ١٢٤

آفاق علمه : عني عمر بأنواع الثقافة والمعرفة المزدهرة في المدينة ، فجمع بين الأدب وعلم الحديث والفقه ، وشجع العلم والعلماء أيام إمارته على المدينة .

عمر والأدب والشعر :

أما الأدب : فقد اطلع على أدب العرب وأشعارهم ، فحفظها ونبغ فيه حتى صار شاعراً ، قال عن نفسه : «لقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان ، ثم تاقت نفسي إلى العلم بالعربية والشعر، فأصبت منه حاجتي» وكان ذواقاً نقاداً للشعر، خبيراً بأسراره ودقائقه وله مع الشعراء المنحرفين مواقف حاسمة على عكس ما كان عليه حال الشعراء في العصر الأموي من مكانة مرموقة، فكانوا يؤمّون الخلفاء والأمراء يمدحونهم، فيجزل هؤلاء لهم العطاء، أما عمر فكان ملتزماً بأدب الشرع، فحاول إسكاتهم، لا سيما في المبارزة التي كان فرسانها جرير والفرزدق والأخطل:

أعطى الفرزدق أربعة آلاف درهم ، لئلا يعرض لأحد من أهل المدينة بمدح ولا هجاء، تخفيفاً عن أهل المدينة في سنة جدبة، ليس لأحد منهم ما يعطيه شاعراً ، فحينما خالف الشرط ومدح عبدالله بن عمرو بن عثمان ، أنذره بالتنكيل به إن لم يخرج من المدينة في أجل ثلاثة أيام .

وعاقب عمر الشاعر جرير بالرغم من مدحه له مع عمرو بن لجأ التيمي ، لما تهاجيا وتقاذفا ، بقرنهما بحبل وإسقاطهما الى الأرض .

ومنح الأحوص (١٠٥هـ) أحد شعراء المدينة مائة دينار ، على أن يكف عن هجاء أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان ، قائلاً له : يا أخي هب لي عرض أبي بكر ، فيمدح عمر بن عبد العزيز معرّضاً بأبي بكر ، فلا يسع عمر إلا أن يقول له : ما أراك أعفيتني مما استعفيت منه .

وغضب على شاعر الخلاعة والغزل والتشبيب بالنساء عمر بن أبي ربيعة ونفاه الى دهلك ، لكثرة تعرضه لنساء الأشراف وبناتهم .

وفي الجملة لم يأذن عمر لعدد من الشعراء بالدخول عليه، بالرغم من مكثهم على بابه شهراً، وهم نصيب والفرزدق والأحوص وكثيّر والحجاج القضاعي، والأخطل وإنما أذن لجرير فقط بالدخول عليه، وقال له مذكراً واعظاً:

«ويحك يا جرير! اتق الله، ولا تقل إلا حقاً»[1]. ورأي عمر في ذلك أنه لا حق للشعراء في بيت مال المسلمين على شعر يمدحون به الخليفة، مما يجعلهم يعتمدون على العمل، ولا يتكسبون ولا يتاجرون بالكلمة، ويقول مقدراً أمانة الكلمة وخطرها: «المحظوظ من يُلجم لسانه» «إن للكلام فتنة، وإن الفعال أولى بالمؤمن من القول».

وكان لعمر شعر جميل في الزهد ولوم النفس والحكمة كشعر أبي العتاهية ، من ذلك ماقاله قبل خلافته[2] :

أنّهَ الفؤاد عن الصِّبا وعن انقيادٍ للهوى
فلعمر ربك إن في شيب المَفارق، والجلا
لك واعظاً لو كنت تتعظ اتعاظ ذوي النُهى
حتى متى لا ترعوي وإلى متى ، وإلى متى ؟
ما بعد أن سُمِّيت كهلاً واستلبت اسم الفتى
بَلِيَ الشباب وأنت إن عُمِّرت رهنٌ للبلى
وكفى بذلك زاجراً للمرء عن غي ، كفى

ويقال ـ كما ذكر صاحب الأغاني ـ : كان عمر في شبابه يهوى الغناء المباح ، ويصبو إليه ، فشدا ولحن ، وتغنى وترنم ، لكنه في الواقع لم يكن يخالف الشرع ، بدليل أنه نهى عن الضرب بالبرابط في العرس ، وأذن بالدفاف فيه[3].

وكان عمر محور حديث الشعراء وكلام الأدباء في مختلف أغراض الشعر وفنونه الحميدة من وعظ ومديح ورثاء وشكوى وغيرها .

ففي مجال الوعظ : تردد الشعراء على الخلفاء ينصحونهم ويحثونهم على الالتزام بأوامر الدين واجتناب نواهيه ومحظوراته ، وكان سابق البربري رائد الشعراء الأمويين في هذا الميدان ، ومن مواعظه قوله في قصيدة ذات ستة وأربعين بيتاً يخاطب عمر بن عبد العزيز[4] ، مطلعها :

---

(1) ابن الجوزي، ص ١٧٠.
(2) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ٢٤٤
(3) ابن عبد الحكم : ص ١٢٥
(4) المرجع السابق : ص ١٤٢

باسم الذي أنزلت من عنده السور والحمد لله ، أما بعد ياعمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر فكن على حذر ، قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المحتوم وارض به وإن أتاك بما لا تشتهي القدر

ويسمع عمر شعر أعشى همدان في رسم صورة الموت وسمو الإنسان عن عالم المادة إلى عالم الروح ، فيبكي حتى تخضل لحيته ، قال [١] :

وبينما المرء أمسى ناعماً جذلاً في أهله معجباً بالعيش ذا أنق [٢]
غراً أتيح له من حينه عرض فما تلبث حتى مات كالصعق
ثمت أضحى من غب ثالثة مقنعاً ، غير ذي روح ولا رمق
يُبكى عليه ، وأدنوه لمظلمة تعلى جوانبها بالترب والفلق [٣]
فما تزود مما كان يجمعه إلا حنوطاً وما واراه من خلق [٤]
وغير نفحة أعواد تشب له وقلَّ ذلك من زاد لمنطلق

وفي ميدان الشكوى : يستغيث الشاعر كعب الأشقري ، وهو في خراسان ، بالخليفة عمر بن عبد العزيز ، ويخاطبه بشأن عماله ، ويصفهم بالذئاب وبمخالفتهم أوامر الخليفة ، وأنهم لايرعوون حتى يعمل السيف فيهم ، فيقول [٥] :

إن كنتَ تحفظُ ما يليك فإنما عمالُ أرضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذي تدعو له حتى تجلد بالسيوف رقاب

---

(١) صبح الأعشى .
(٢) أنق : فرح وسرور
(٣) الفَلَق : جذع النخلة ونحوه يشق اثنين
(٤) الحنوط : الطيب الذي يوضع للميت لمنع الفساد ، والخُلَق جمع خلوق : وهو نوع من الطيب أعظم أجزائه الزعفران .
(٥) البيان والتبيين : ٣/ ١٧٧ ومابعدها

وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال [١] :

إن الـذين بعثـتَ في أقطارها نبـذوا كتابـك واستحـل المحرم
طُلْسُ [٢] الثياب على منابـر أرضنا كل يجـور وكلهـم يتظلم
وأردت أن يلي الأمانـة منهم عدل وهيهـات الأمـين المسلم

وفي مجالات المديح : كان عمر بن عبد العزيز أوفر الأمويين حظاً في تلك المدائح ، لما عرف عنه من عدل وصلاح وتقوى ، وتطبيق للشريعة ، وتزخر أكثر دواوين الشعـراء الأمـويين ، الـذين أدركوا عصره ، بمدحـه وتجسيد مناقبـه الإسلامية[٣] .

ومن تلك المدائح قول كُثيِّر عَزَّة [٤] :

وأظهرت نور الحق فاشتد نوره على كل لبس بارق الحق مظلم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي أتيـت فأمسى راضيـاً كل مسلم
تكلمـتَ بالحـق المبـين وإنما تبـينُ آياتُ الهـدى بالتكلم
ألا إنمـا يكفـي القنـا بعـد زيغه من الأوَدِ الباقـي ثقـافُ المقوَّم
وما زلت تواقـاً إلى كل غاية بلغـت بهـا أعلى البنـاء المقدم
فلما أتـاك المُلك عفـواً ولـم يكن لطالـب دنيا بعـده من تكلـم
تركت الـذي يفنى وإن كان مونقاً وآثـرت مايبقـى برأي مصمم

ومنها قول جرير فيه أيضاً [٥] :

---

(١) البيان والتبيين : ٣/ ١٧٨

(٢) طلس الثياب : جمع أطلس وهو الثوب الخلق البالي .

(٣) الإسلام والشعر للدكتور سامي مكي العناني : ص ١٣٧ ومابعدها

(٤) ديوان كثير : ص ٣٣٤ ، البيان والتبيين : ٣/ ١٢٨ ومابعدها . والزيغ في البيت الرابع : العوج في العود ونحوه

(٥) ديوان جرير : ١/ ٤١٦

أنت المبارك المهديّ سيرته ... تعصي الهوى وتقوم الليل بالسُّوَر
أصبحت للمنبر المعمور مجلسه ... زيناً وزين قباب الملك والحجر
نال الخلافة إذ كانت له قدراً ... كما أتى ربَّه موسى على قدر

أما الرثاء: فكثرت مراثي عمر الشعرية والنثرية بعد وفاته ، فرثاه الشاعر محمد بن خالد بن الوليد بمرثية تجلت فيها الحكمة وعظة الملوك الأحياء ليستخلصوا منها العبرة ، فقال (١):

هل في الخلود إلى القيامة مطمع ... أم للمنون عن ابن آدم مدفع
هيهات ما للنفس من متأخر ... عن وقتها لو أن علماً ينفع
أين الملوك وعيشهم فيما مضى ... وزمانهم فيه وما قد جمَّعوا
ذهبوا ونحن على طريقة من مضى ... منهم ، فمفجوع به ومفجَّع
عثر الزمان بنا فأوهى عظمنا ... إن الزمان بما كرهنا مولع

ورثاه محارب بن دثار فقال (٢):

سلام الله والصلوات فيه ... على عمر ترحن وتغتدينا

ورثاه شعراء آخرون مثل كثيرِّ عزة ، كما سبق في بحث رثاء عمر وموضع قبره في دير سمعان .

وحينما ناقش عمر بن عبد العزيز قادة المرجئة وناظرهم في عقائدهم ، تبرأ الخطيب الشاعر عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي من مذهب المرجئة ، ثم أنشد أبياتاً ناقش فيها آراءهم وأبطل حججهم بمنطق حصيف من منطق عمر ، فقال (٣):

---

(١) معجم الشعراء : ص ٣٤٥ ، معجم البلدان : ٥١٧/٢ ، نقل ياقوت الحموي في معجمه شيئاً من مراثي عدد من الشعراء في الخليفة الأموي عمر رحمه الله .
(٢) أخبار القضاة : ٣٣/٣
(٣) البيان والتبيين : ١٧٨/١ ، مطبعة الفتوح الأدبية بمصر

وأول ما نُفارقُ غيرَ شَكٍّ نفارقُ مايقولُ المُرْجِئونا
وقالوا : مؤمنٌ من آلِ جَوْرٍ وليس المؤمنونَ بجائرينا
وقالوا : مؤمنٌ دمُه حلالٌ وقد حَرُمتْ دماءُ المؤمنينا

ثم لزم عمر بن عبد العزيز ، وكان ذا منزلة منه ، قالوا : وله يقول جرير :

يا أيها الرجلُ المُرْخي عِمامتَه هذا زمانُك إني قد مضى زَمَني
أبلغ خليفتنا [1] إن كنت لاقيه أني لدى الباب كالمشدودِ في قَرَن
وقد رآك وفودُ الخافقين معاً ومُذْ وُليتَ أمورَ الناس لم تَرَني

عمر والحديث :

أما الحديث النبوي : فقد اشتغل عمر بروايته مسنداً ومرسلاً [2] كما أشرنا ، ثم تركه وعني بالفقه والاستنباط ، ولكن له فضل يخلده التاريخ بالنسبة للحديث ألا وهو الأمر بتدوين السنة النبوية ، كما سيأتي توضيحه .

فمن أمثلة اهتمامه بالحديث : ما ذكره محمد بن كعب القرظي قال[3] : دخلت على عمر بن عبد العزيز ، لما استُخلف ، وقد نَحِل جسمه ، ونفَى شعره [4] ، وتغير لونه ، وكان عهدنا به بالمدينة أميراً علينا حسن الجسم ، ممتلىء البَضْعَة [5] ، فجعلت أنظر إليه نظراً لا أكاد أصرف بصري عنه ، فقال :

يا ابن كعب ، مالك تنظر إلي نظراً ما كنت تنظره إلي من قبل ؟ فقال : لعجبي ، قال : ومماذا عجبك ؟ فقلت :

---

(١) يريد به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

(٢) الحديث المسند : هو ما اتصل سنده من أوله الى منتهاه ، وأكثر مايستعمل فيا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو المرفوع المتصل . والمرسل : هو ما رفعه التابعي الى الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، صغيراً كان التابعي أو كبيراً .

(٣) سيرة عمر لابن عبد الحكم : ص ٥٥ ومابعدها

(٤) نفى شعره : أي ثار وشعث

(٥) البضعة : القطعة من اللحم

لِمَا نَحِل من جسمك ، ونَفَى من شعرك ، وتغير من لونك . قال : وكيف لو رأيتني بعد ثلاث في قبري حين تقع عيناي على وجنتيَّ ، ويسيل منخري وفمي دوداً وصديداً لكنت لي أشد نُكْرةً منك اليوم .

أعِدْ علي حديث ابن عباس ، قال : قال رسول ﷺ : «إن أفضل المجالس مااستُقبل به القبلة ، وإنما تتجالسون بالأمانة ، لا تصلُّوا خلف النائم ولا المُحْدث ، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في صلاتكم ، ولا تستروا الجدُر بالثياب ، ألا ومن نظر منكم في كتاب أخيه بغير إذنه ، فإنما ينظر في النار .

ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى ، يارسول الله ، قال :
من نزل وحده ، ومنع رِفْده ، وجلد عبده .
ألا أنبئكم بشرّ من ذلك ؟
من لايقيل عثرة ، ولايقبل معذرة ، ولايغفر ذنباً .
ألا أنبئكم بشرّ من ذلك ؟
من يُبغض الناس ويبغضونه .
ألا أنبئكم بشرّ من ذلك ؟

من لايُرجى خيره ، ولا يؤمن شره ، إن عيسى ابن مريم قام في قومه ، فقال : يابني اسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال ، فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها ، فتظلموهم ، ولا تجاوروا ظالماً ، فيبطل فضلكم عند ربكم . إنما الأمور ثلاثة ، فأمر بيِّن رشده فاتبعوه ، وأمر بيِّن غيّه فاجتنبوه ، وأمر اختُلف فيه ، فرُدوه الى الله .

عمر والفقه :

كان فقه عمر بالإضافة الى معرفة الفروع الفقهية ، وتوافر القدرة والملكة على استنباطها من أدلتها ومصادرها ، يتجه الى فهم روح التشريع العامة ، والتزام ما أرشد إليه القرآن والسنة من التمسك بأهداف التشريع الكبرى ، ومراميه الكلية ، وأسراره الدقيقة ، وذلك واضح من كتبه المشهورة الى العمال بعد استخلافه .

فقد تضمن أحد هذه الكتب [1] منهج العمل الصحيح المتكامل للحياة عامة ، وذلك بالحث على اتباع ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى عنه .

وفي كتاب آخر [2] تأكيد على ضرورة العمل بفرائض الله ، وإحلال حلاله وتحريم حرامه والاعتراف بحقه والحكم بما أنزل الله ، ودعوة الناس الى الإسلام كافة ، والحرص على نشر الإسلام .

وأن الهجرة بالجهاد والعمل الصالح ، وأن توزيع الصدقات أو الزكوات إنما هو للأصناف الثمانية المذكورين في آية ٦١ من سورة التوبة وهي : «إنما الصدقات للفقراء والمساكين . . .» وأما الخمس ـ خمس الغنائم فهو كالفيء (أموال الحربيين الآيلة إلينا من غير قتال) يصرف للمصالح العامة[3] ، وأما الحمى)في الأصل : مايخصص من الأراضي للنفع العام) فهو مباح للمسلمين عامة .

وأما الطلاء (النبيذ المسكر المتخذ من غير العنب) فهو كالخمر حرام ؛ لأن كل مسكر حرام ، فإن كان غير مسكر فيحل شربه ، وهذا هو الذي شربه عمر بن الخطاب وغيره .

والبحر كالبر عام للاتجار فيهما ، وهو مبدأ حرية الملاحة ، وحرية التجارة ، كما أنه يجب توحيد المكيال والميزان في جميع أنحاء الأرض الإسلامية ، ولايكلف الناس بشيء من المكوس (الجمارك) ولا بشيء من العشور (ما يفرض على الناتج) إلا عشر الأراضي الزراعية .

وليس للإمام والعامل الاتجار في مجال سلطانه الذي هو عليه ، ولا تحل السخرة فهي ظلم محض ، ولا يخصص أحد بمنفعة عامة ، وإنما منفعة الأرض والمزارع للجميع ، ويتوارث الناس حق الانتفاع بالأرض .

---

(١) ابن عبد الحكم : ص ٩٢ ومابعدها

(٢) المرجع السابق : ص ٩٣ ـ ٩٩

(٣) وكان خمس الخمس للنبي صلى الله عليه وسلم ، والباقي لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كما في آية : ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ (الأنفال: ٤١).

وفي كتاب آخر [1] إلى أيوب بن شُرَحبيل وأهل مصر خصصه للنهي عن مختلف أنواع المسكرات من خمر ونبيذ وغيرهما ، للتحريم القاطع لها في القرآن والسنة النبوية .

وكتب الى الضحاك بن عبد الرحمن يشدد فيه على أخوة الإسلام الذي وحد بين المسلمين ، وينهى عن الأحلاف القبلية والعصبيات الجاهلية [2].

ونهى عن النياحة على الأموات وأمر بالصبر على المصائب ؛ لأن الله أمر المؤمنين بخير الأمرين في الدنيا والآخرة ، فقال : «الذين إذا أصابتهم مصيبة ، قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون» [3].

ولعل أميز ما امتاز به عمر في سياسته العامة إقامة حكمه على العدل وتجنب الظلم ؛ لأن بالعدل قامت السموات والأرض ، وهذا من الفقه المتعمق البعيد النظرة الى المستقبل ، فعمل به وألزم عماله وولاته باتباع منهج العدل ، وذلك في قولين موجزين هما [4]:

١ ـ قال : «من لم يُصلحه إلا الغَشْم ، فلا يصلح ، والله لا أصلح الناس بهلاك ديني» .

٢ ـ كتب فقال : «إن استطعت أن تكون في العدل والإصلاح والإحسان بمنزلة من كان قبلك في الظلم والفجور والعدوان فافعل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله» .

ومن ظواهر عدله وفقهه رفعه الضرائب عن الرعية ، كتب الى عماله كتاباً يقرأ على الناس [5]:

---

(١) المرجع السابق : ص ٩٩ ـ ١٠٢

(٢) المرجع نفسه : ص ١٠٣ ـ ١٠٦

(٣) المرجع السابق : ص ١٠٦ ـ ١٠٧

(٤) المرجع السابق : ص ١٢١

(٥) ابن عبد الحكم : ص ١٦٠

أما بعد ، فأقرأ كتابي هذا على أهل الأرض بما وضع الله عنهم ، على لسان أمير المؤمنين من المظالم والتوابع التي كانت تؤخذ منهم في النيروز والمهرجان وثمن الصحف وأجر الفيوج[1]، وجوائز الرسل ، وجوائز الجهابذة وهم القساطرة[2]، وأرزاق العمال وأنزالهم[3]، وصرف الدنانير التي تؤخذ منهم من فضل ما بين السعرين في الطعام الذي كان يؤخذ منهم فضل ما بين الكيلين ، وليحمدوا الله عز وجل .

أما فقه الفروع : فكان دقيق الفهم له ، خبيراً باستنباطه من مصادره ، ملتزماً بتطبيق السنة النبوية .

فحينما كان يصلي بالناس في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يصلي خلفه بعض الصحابة والتابعين ، وكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود ، فقال فيه أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم :

ما صليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى ، يعني عمر بن عبد العزيز ، حين كان والياً على المدينة .

ونسب الى عمر أنه كان قبل الخلافة يسمع الغناء ، قال ابن قتيبة : سئل اسحاق عنه ، فقال : ما طنّ في سمعه شيء بعد أن أفضت إليه الخلافة . وأما قبلها فكان يسمع من جواريه خاصة ، ولايظهر منه إلا الجميل ، وربما صفق بيده ، وتمرغ على فراشه طرباً ، وضرب برجليه[5].

(١) النيروز : عيد الفرس ، أول يوم من أيام السنة الشمسية . والمهرجان : عيد الفرس ، والفيوج : الرسل للسلطان على أرجلهم .

(٢) الجهبذ : الناقد العلوف بتمييز الجيد من الرديء ، ج جهابذة ، وقسطر الدراهم : انتقدها .

(٣) النزل : العطاء والفضل أنزال ، وأنزال القوم : أرزاقهم .

(٤) البداية والنهاية : ٩/ ١٩٤ .

(٥) إيضاح الدلالات في سماع الآلالات للشيخ عبد الغني النابلسي : ص ٦٣ ، ٩٠ ، ط دار الفكر بدمشق ، قال ابن عون : «أدركت ثلاثة يتشددون في السماع ، وثلاثة يتساهلون في المغاني ، فأما الذين يتساهلون فالحسن والشعبي والنخعي ، وأما الذين يتشددون فمحمد بن سيرين ، والقاسم بن محمد ، ورجاء بن حيوة» (البيان والتبيين : ٢/ ١٧٢) .

وأما كلامه ورأيه في الطلاء (النبيذ) فقال ، وكما بينا مجمل رأيه سابقاً : ثم إن الطلاء لاخير فيه للمسلمين ، إنما هو الخمر يكنى باسم الطلاء ، قد جعل الله عنه مندوحة وأشربة كثيرة طيبة ، وقد علمت أن ناساً يقولـون : قد أحلـه عمر بـن الخطاب رضي الله عنه ، وشربه ناس ممن مضى من خيارنا ، وإن عمر إنما أُتي منه بشراب طبخ حتى خَثَر ، فقال حين أتي به : أطلاء هذا ؟ يعني به طلاء الإبل ، فلما ذاقه قال: لا بأس بهذا ، فأدخل الناس فيه بعد عمـر ، أمـا من شربـه من صالحيكم فإنهم شربوه قبل أن يُتخذ مسكراً ، وقد قال رسول الله ﷺ : حرام كل مسكر ، على كل مؤمن ، فلا أرى أن يتخذ الفاجرُ البارّ دُلْسَة [1]، ونرى أن يتنزه المسلمون عنه عامة ، وأن يحرّموه ، فإنه من أجمع الأبواب للخطايا وأخوفها عندي أن تصيب المسلمين منه جائحة تعمهم [2].

وفي مجال الاجتهاد في أحكام القضايا والمسائل المتجددة كان يتبع سنة الخلفاء الراشدين ، باستشارة ذوي الرأي وأهل العلـم والاجتهـاد ، وجمـع أهـل الخبـرة والإفـادة من رأي المستشـارين، فكان حينما صار والياً على المدينـة إذا وقـع له أمر مشكل ، جمع فقهاء المدينة عليه ، وقد عيَّن عشرة منهم ، فهم المجلس الاستشاري له ، وهم [3]:

عروة بن الزبير ، وعبيدالله بـن عبدالله بـن عتبـة ، وأبـو بكر بـن عبـد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة ، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وأبو بكر بـن محمد بـن عمرو بـن حزم ، وسالم بن عبدالله ، وعبدالله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري .

وكان لايخرج عن قول سعيد بـن المسيب ، وكان سعيد لايأتـي أحداً من الخلفاء ، وكان يأتي الى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة .

---

(١) الدُلْسة : الظلمة .
(٢) ابن عبد الحكم : ص ٩٧ ـ ٩٨ .
(٣) البداية والنهاية : ٩/ ١٩٤

فهو في هذا الصنيع اختار المجلس الاستشاري من فقهاء المدينة السبعة المشهورين ، وضم إليهم ثلاثة أو أربعة آخرين . والفقهاء السبعة هم سعيد بن المسيب (٩٤هـ) وعروة بن الزبير (٩٤هـ) والقاسم بن محمد (١٠٦هـ) وأبو بكر بن عبد الرحمن المسمى راهب قريش (٩٤) هـ) وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود (٩٨ هـ أومابعدها) وسليمان بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ (١٠٧هـ) وخارجة بن زيد بن ثابت (٩٩ أو ١٠٠هـ)

ومن أهم المسائل التي استشار فيها هؤلاء الفقهاء : هدم المسجد النبوي وتوسيعه ، فقد طلب منه الخليفة الوليد بن عبد الملك بكتاب يأمره بهدم المسجد النبوي ، وإضافة مساكن أزواج النبي ﷺ ، وأن يوسعه من قبلته وسائر نواحيه ، حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ، وقال له في كتابه : «فمن باعك ملكه فاشتر منه ، وإلا فقوِّمه له قيمة عدل ، ثم اهدمه ، وادفع إليهم أثمان بيوتهم ، فإن لك في ذلك سلف صدق : عمر وعثمان» .

فجمع عمر بن عبد العزيز الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة ، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ـ الوليد ، فشق عليهم ذلك وقالوا :

هذه حجر قصيرة السقوف ، وسقوفها من جريد النخل وحيطانها من اللبن وعلى أبوابها المسوح ، وتركها على حالها أولى ، لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون ، فينتفعوا بذلك ، ويعتبروا به ، ويكون ذلك أدعى لهم الى الزهد في الدنيا، فلا يعمرون فيها إلا بقدر الحاجة، وهو ما يستر ويكنّ ، ويعرفون أن البنيان العالي إنما هو من أفعال الفراعنة والأكاسرة ، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا ، وفي الخلود فيها .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى إلوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة ، فأرسل إليه يأمره بالخراب ، وبناء المسجد النبوي على ما وصف ، وأن يعلي سقوفه . فلم يجد عمر بدأ من الهدم والتوسيع .

تشجيع العلم والعلماء :

بدت نهضة علمية قوية بين الشباب والكهول في أثناء ولاية عمر على المدينة ، وفي عهد خلافته على المسلمين . فكان يقول [1] :

إن استطعت فكن عالماً ، فإن لم تستطع فكن متعلماً ، فإن لم تستطع فأحبّهم ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم ، ثم قال : لقد جعل الله له مخرجاً إن قبل .

وعزم عزماً أكيداً في أثناء خلافته على نشر العلم وتعليم الرعية وحملهم على الشريعة ، وقال [2] :

إن للإسلام حدوداً وشرائعَ وسنناً ، فمن عَمِل بها استكمل الإيمان ، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعشْ أعلّمكموها وأحملكم عليها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص .

ونفذ عمر هذه السياسة بالإغراءات المالية وبتخصيص المعلمين في كل مكان لمحو الأمية ونشر الثقافة ، فبعث يزيد بن أبي مالك والحارث بن محمد إلى البادية ، وأمرهما أن يعلما الناس السنة ، وأجرى عليهما الرزق . فقبل يزيد الأجر ولم يقبل الحارث ، وقال : ما كنت لآخذ على علم علمنيه الله أجراً .

فذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز ، فقال : ما نعلم بما صنع يزيد بأساً ، وأكثر الله فينا من مثل الحارث [3]

---

(١) ابن عبد الحكم : ص ١٣٣

(٢) ابن عبد الحكم : ص ٦٤

(٣) ابن عبد الحكم : ص ١٦٠

وكان عمر رحمه الله يعطي من انقطع الى المسجد الجامع من بلده وغيرها ، للفقه ونشر العلم وتلاوة القرآن ، في كل عام من بيت المال مائة دينار . وكان يكتب الى عماله أن يأخذوا بالسنة ، ويقول :

إن لم تصلحهم السنة ، فلا أصلحهم الله [1]

بلاغته :

كان عمر بليغ الكلام ، فصيح اللسان ، ناصع البيان ، فإن تكلم جذب القلوب ونبّه الأسماع ، ولفت الأنظار ، وإن أجاب أوجز ، إذ البلاغة الإيجاز ، وإن نصح حرك المشاعر والأحاسيس ، لصدقه فيما يقول ؛ فأبكى نفسه وأبكى السامعين ، وإن جادل كان قوي الحجة ، سليم المنطق ، يدحض كلام الخصم بالحق الأبلج والبرهان الساطع ، وإن تحدث نطق بالحكمة ولم يتصنع الكلام ، وأتى ببليغه وسجعه عفو الخاطر ، وإن أنصت أعجبه حسن كلام المتكلم ، وأذعن لسماع كلمة الحق .

وسأذكر هنا خطبتين من خطب عمر ، أوردهما الجاحظ في كتابه البيان والتبيين [2] ، لإعجابه بهما .

خطب عمر بخُناصرة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله تعالى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

«أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً يحكم الله فيه بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض .

---

(١) البداية والنهاية : ٢٠٧/٩

(٢) ٢/ ٦٠ ومابعدها

واعلموا أن الأمان غداً لمن خاف ربه ، وباع قليلاً بكثير ، وفانياً بباق ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلفها من بعدكم الباقون ، كذلك حتى تردوا إلى خير الوارثين .

ثم أنتم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله ، قد قضى نحبه وبلغ أجله ، ثم تغيبونه في صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، غنياً عما ترك ، فقيراً إلى ماقدم .

وايم الله ، إني لا أقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي ، فأستغفر الله لي ولكم .

وما تبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سددناها ، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدي ، ويحمي الذين يلونني حتى يستوي عيشنا وعيشكم .

وأيم الله ، أن لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة ، لكان اللسان مني ناطقاً ذلولاً عالماً بأسبابه ، لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة ، دل فيها على طاعته ، ونهى فيها عن معصيته» .

ثم بكى ، فتلقى دموعه بطرف ردائه ، ثم نزل ، فلم ير على تلك الأعواد حتى قبضه الله .

تضمنت الخطبة التنويه بقيمة الإنسان وكونه ذا رسالة عظمى في هذه الحياة ، فما عليه إلا تعمير دنياه بالعمل الصالح ، استعداداً لدار الخلود ؛ لأن الدنيا فانية والآخرة باقية ، والموت المنتظر مصير الكائنات جميعها ، والآجال محتومة ، ولا ينفع أحداً بعد الموت إلا عمله وإحسانه ، وكل امرىء بحاجة الى رحمة الله وغفران ذنوبه ، والحساب أمامه دقيق وعسير على كل ما قدم وأخر .

والحاكم العادل كعمر حريص على تحقيق التسوية في العيش بين الراعي والرعية ، مع أنه يستطيع ترفيه نفسه ، لولا الخوف من الله وإرشاد القرآن والسنة الدالين على الطاعة ، المانعين من المعصية .

وخطب عمر خطبة أخرى : فقال :

«أما بعد ، فإنك ناشيء فتنة وقائد ضلالة قد طال جثومها واشتدت غمومها ، وتلونت مصائد عدو الله فيها، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما في عواقبها ، فلن يهدّ عمودها ، ولن ينزع أوتادها إلا الذي بيده تلك الأشياء ، وهو الله الرحمن الرحيم .

ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا من ظلمتها ، ولم يشايعوا أهلها على شبهتها ، مصابيح النور في أفواههم تزهو ، وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ، ركبوا نهج السبيل ، وقاموا على العلم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم ، وبهم يصلح الله البلاد ، ويدفع عن العباد ، فطوبى لهم ، وللمستصبحين بنورهم ، أسأل الله أن يجعلنا منهم» .

هذه الخطبة فيها-العظة البليغة لكل إنسان ؛ لأنها توضح له أن إغراءات الدنيا قوية ، وفتنها كثيرة ، ولن يقضي على الفتنة إلا الله عز وجل . لكن هناك فئة من عباد الله استناروا بنور الحق ، وفهموا كتاب الله ، ووعوا الحقائق ، فقاوموا الشيطان ، وأصبحوا هداة مرشدين وقادة لأمتهم مصلحين ، وأملاً للناس في إصلاح البلاد ودفع الأخطار عن العباد .